بواكير السماع في التصوف الإسلامي
-دراسة تحليلية-

Early Sufi hearing in the Islamic mysticism
-Analytic studies-

لـطـرش سـمية[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
soumialatt@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/07/18 القبول 2023/07/19 النشر على الخط 2023/09/15
Received 18/07/2022 Accepted 19/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:
البحث دراسة تأصيلية للسماع الصوفي، باعتباره طقسا لازما في طريق التصوف لتحقيق جملة أهداف أسماها الاتحاد بالمطلق، فمن خلال تسليط الضوء على نشأته, وتحليل ورصد خط تطوره في التصوف المبكر في أقوال رؤوس الصوفية و مقارنتها، تبين تزامنه مع ظهور التصوف نفسه فكان قاعدة أساس فيه طوره الصوفية ضمن تطويرهم لطريقهم مستلهمين من الزهد خلال القرون الخمسة الأولى ، على مرحلتين الأولى أسست له باعتباره رسائل ربانية موصلة إلى الحق، وفي الثانية تفصيل مفاهيمه الوظيفية و النوعية والتمكين له بالأدلة الشرعية، ساهم في تحوله إلى طقس تعبدي شرط المكان، و مناسبة الزمان، واجتماع الإخوان عليه ، ومركزية الشيخ فيه ،وعليه فإن عناصر السماع اكتملت خلال هذه الفترة، وما كان بعدها لم يكن إلا زيادة توسيع لمعانيه وتطبيقاته.
الكلمات المفتاحية: السماع الصوفي ، ،طريق، طقس، الوجد، الاتحاد.

Abstract :
The research is an original study of Sufi hearing, being a necessary ritual to Sufism and achieving many goals, the highest of which is union. Through its inception, analysis and monitoring of early Sufism in the sayings of the heads of Sufism and its comparison, it was found to coincide with the emergence of Sufism itself, and it was the basis of it. Sufism development was inspired by asceticism over the first five centuries. in the first two phases ware continuous divine messages leading to the truth. And in the second, detailing its functional, qualitative and empowering concepts with religious evidence, turning into a devotion ritual to the condition of the place, the suitability of the time, brothers' meeting, and the centralization of sheikh, which completed the elements of hearing within That period, and what came after, was nothing but a further expansion of its meanings and applications
Keywords : *Sufi hearing, Sufism, union, ritual, asceticism.*

[1] – المؤلّف المراسل: لطرش سمية البريد الإلكتروني: soumialatt@gmail.com

مقدّمة:

لا يعتبر لفظ السماع مألوفا كالممارسة ذاتها في المخيال الشعبي فهو يعرف بالحضرة، والعمارة ، دوران الدراويش وغيرها؛ و درست مباحثه في دراسات أنثروبولوجية، بمقارابات سيميائية وفنية عند طريقة من الطرق الصوفية أو دراسات مسحية لطرق عدة، كما أُلّف فيه بغرض بيان حكمه الشرعي، لكن الدراسات الأكاديمية التي تتناول بدايات هذه الممارسة في التصوف الإسلامي بالبحث و التمحيص، وترصد تطورها، هي دراسات مقلة و مباحث متفرقة في بطون الكتب، وطرح موجز في المقالات.

-أهمية الموضوع:

للأسباب المبينة سابقا تظهر أهمية دراستنا هذه، في تسليط الضوء على بدايات هذه الممارسة الطقوسية، التي اشتهرت أكثر من التصوف ذاته، حتى بات التصوف يعرف بجلسات السماع المتنوعة التي تخص كل طريقة بذاتها، وكذلك تلك الظواهر العجيبة التي يكون عليها حال المشاركين، وأهم من هذا كله صمود هذه الممارسة لغاية يومنا هذا رغم كل جهود الفقهاء والعلماء في القضاء عليها.

– دوافع و أهداف اختيار الموضوع:

إن الدافع الشخصي كان الموجه الرئيسي للبحث في أصول السماع، فلطالما أخافتني طقوس الحضرة وأرعبتني مشاهدها، وتركت أسئلة كثيرة حول ماهية هذه الممارسة وكيف تكون طاعة لله، و كذلك الدافع الأكاديمي بهدف توفير دراسة تبحث في بدايات هذه الممارسة في المجتمعات الإسلامية.

– إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول سؤال رئيسي هو:

-كيف دخل السماع في التصوف الإسلامي؟

و تتفرع عنه أسئلة مهمة هي:

ما هو السماع في التصوف الإسلامي و ما أهميته في السلوك الصوفي؟ كيف تطور و من ساهم في ذلك؟ و ما سر تمكينه و بقائه ليومنا هذا؟

-خطة البحث:

بغرض الإجابة على الإشكالية السابقة وفروعها جاء عرض البحث في عدة مباحث رئيسية و فرعية بداية من المقدمة التي تم التمهيد فيها لموضوع البحث و أبعاده و منهجه، ثم عرض المفاهيم العامة في اللغة و الاصطلاح، ثم عرض تاريخ ظهور التصوف في الإسلام الذي كان السماع من دعائمه، و التركيز على السماع و تطوره خلال هذا التاريخ ، بتفصيل مقولات شيوخ الصوفية عنه، و عرض أهم الشخصيات المؤسسة له، و التنقيب في كتاباتهم عما جاء بشأن السماع، و تحليلها و رصد خط تطوره، و هذا ضمن مجال زمني محدد للبحث و هو الخمسة قرون الأولى، لأنها كانت فترة تأسيسه واكتمال صورته خلالها و تفصيل دقائقه و علائقه

وتمكينه في الممارسة الصوفية ، وما كان في أمره لاحقا لا يعدوا تمديد فروعه و استثمار أصوله، و أنهينا البحث بخاتمة جاء فيها خلاصة البحث و نتائجه، و إجابة على التساؤلات السابقة.

– منهج البحث:

إن الطبيعة العامة للبحث هي تاريخية تأصيلية لكنها لا تخلو من تحليل واستقراء حيث جاء المنهج مركبا بين المنهج التاريخي في عرض و سرد الأحداث و الشخصيات التاريخية، و المنهج الاستقرائي خلال عرض المقولات الصوفية و تحليل اللغة الصوفية للخروج بنتائج تصب في صالح موضوع البحث و تجيب على الإشكالية المطروحة .

– الدراسات السابقة:

إن موضوع التصوف ومظاهره هو موضوع سال له الكثير من الحبر، وذلك منذ عصر التدوين، و لكنه يبقى بنفس رونقه وغموضه، نظرا لبقائه لعصرنا هذا، والسماع الصوفي تناولته الدراسات بمقاربات عديدة، إلا أن الدراسات التي تبحث في نشأته، هي دراسات مقلة، وقد اعتمدنا في بحثنا على كتب رؤوس الصوفية كمصادر مهمة للبحث، أما قضية النشأة فرجعنا فيها إلى رسالة دكتوراه **لفاطمة فؤاد** بعنوان "السماع عند صوفية الإسلام" ، خصصت فيها الفصل الأول لبحث معاني السماع من القرن الأول إلى السابع الهجري بشيء من التفصيل، لا يشبع رغبة القارئ في تحصيل فهم دقيق و تحقيق ماهية السماع و أهميته .

1. مفهوم السماع الصوفي

أولا لـغة: جاء بعدة معاني فـ:" السَّمَاع من سَمع السَّمْعُ: حس الأذن، وقد سمعه سمعا و سماعا و سماعة وسماعية، قال اللحياني: وقال بعضهم السّمع مصدر و السِّمع: الاسم و السَمع أيضا الأذن و الجمع أسماع" [1]،وقد يكون مدلول السماع القبول والإجابة، .وسمع الله قولك :علمه .و" سمع الله لمن حمده " أجاب الله حمد من حمده وتقبله.

ثانيا اصطلاحا: أهم استعمال لكلمة السماع اصطلاحا، هو الاستعمال الصوفي، إلا أنه يستعمل في علوم اللغة العربية و"يقصد به ورود لفظة، أو تعبير عند العرب الفصحاء في عصر الاحتجاج، و جاء على لسان أحد المعاصرين للغة: و السماع بهذا المفهوم مرادف للنقل الذي يعرفه ابن الأنباري بأنه (هو الكلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة)"[2].

مما سبق فإن السماع هو من طقوس الصوفية التي تمارس في مؤسساتها، يظهر في شكل أداء جماعي لأغاني صوفية و ترديد مدائح دينية أو تلاوة القرآن و قراءة الأذكار و يعرف في الجزائر بالحضرة ،و في المغرب بالعمارة وفي المشرق في بلاد الشام يعرف بدوران الدراويش كما في تركيا، غير أنه في تركيا يستعمل اللفظ ذاته أي سماع للتعبير عنه في الطريقة المولوية ، ويوجد في مصر رقص التنورة على الأغاني الصوفية ، كما يوجد مظاهر الرقص الأخرى في مصر أيضا و هو في صميم منهجهم في تربية المريدين.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ،دار احياء التراث العربي ، بيروت –لبنان–، د.ط، ص 165،

[2] فهد سالم خليل الراشد ، عن مقال " السماع في كتاب سيبويه – نظرة احصائية – "في مجلة الآداب و اللغات – العدد 16- أوكتوبر 2010م ، الكويت،ص 10.

2. نشأة و تطور مفهوم السماع الصوفي:

ترتبط دراسة تاريخ السماع الصوفي بتاريخ التصوف نفسه لذلك سنعرض تاريخه و نبرز مظاهر السماع في كل مرحلة، وقد مرّ التصوف الإسلامي بعدة مراحل رئيسية [1] هي:

1.2 مرحلة الظهور وإثبات الوجود (الزهد): القرن الأول –القرن الثالث للهجرة :

لم يكن مصطلح الصوفية والتصوف قد أطلق بعد، يقول ابن خلدون:" هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة. وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا... فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة". [2] وقيل أنه اطلق لفظ الزهاد أولا على أهل الصفة في عهد الرسول(ص) [3]،وأهم شخصيات هذه المرحلة :**الحسن البصري**[4] (ت 110هـ)الذي اعتبره الصوفية بذرة التصوف، كان دائم الحزن و البكاء فقيل عنه "كأن نار جهنم لم تخلق إلا له "، وكان يجلس للتعليم فنشر تلاميذه فكره بعده، وتمت اختلاف بين المصادر الصوفية في تحقيق متى أطلق لفظ التصوف والصوفي منهم من قال انه قبل القرن الثاني للهجرة كالقشيري في رسالته، و خالفه الطوسي في " اللمع" وأكد أن اللفظ كان معروفا على عهد الصحابة والتابعين، وقد أطلق على شخصيات ك: **أبو الهاشم الكوفي** (ت150هـ)،و أضاف **ماسينون، جابر ابن حيان** أيضا، و هو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، وأن لفظ الصوفية ظهر عام 199هـ في خبر فتنة بالإسكندرية ،فكانت تدل على مذهب يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة[5]، كما ظهرت **رابعة العدوية** (ت185هـ) فقالت **بالحب الإلهي** فكانت منعرجا حاسما في تحول الزهد إلى تصوف ثم إلى التصوف الطرقي الأمر الذي مكَّنَ للسماع من تبوأ مكانة تأسيسية فيه،[6]؛ أيضا **الحارث بن أسد المحاسبي** (ت 243هـ) أشهر رجال مدارس بغداد أطلق عليه المحاسبي لمذهبه في كثرة محاسبة النفس وكان يدعوا للتعلق بالله، وهناك أبو يزيد البسطامي صاحب (الشطحات) فيروى أنه قال:" سبحاني ما أعظم شأني " و أيضا "جزت بحرا وقف الأنبياء عند سواحله" مما يدل على فكرته في الفناء [7] **والجنيد** الذي لقب بشيخ الطائفة و له عظيم الأثر فيها و عنده ظهرت تأثيرات الثقافات الدخيلة ، فبالغ في فكرة الفناء في الله و العودة إلى " اللاذاتية" التي تعني العودة إلى

---

[1] أبو الوفاء الغنيمي التافتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة – القاهرة- مصر ، ط3 ، 1979م، تلخيص لصفحات 17- 20.

[2] ولي الدين عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي ،دمشق- ، ط1 ،2004م، ج 2 ،ص 226.

[3] عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مدارسها ،مكتبة مدبولي – القاهرة – ط2 ،1999م، ص 48.

[4] الحسن بن يسار البصري(21- 110هـ) إمام و قاضي و محدث من التابعين ولد بالمدينة المنورة ، انتقل إلى البصرة و استقر بها فدعي البصري .

[5] ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني –بيروت-، ط1، 1984م، ص 27.

[6] رابعة العدوية إمامة العاشقين و المحزونين، عبد المنعم الحفني ،دار الرشاد –القاهرة- ،ط 2، 1996م، ص 23.نقل بتصرف

[7] [7] عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة االفلسفة الصوفية و تطورها، دار الجبل –بيروت-،ط1، 1993م، ص 190.

ضمير الخالق ،..فإن غاية الصوفي أن يعود مرة أخرى –إلى فكرة في ضمير الخالق"[1]، وكان أستاذ الحلاج الذي ظهر في أواخر هذه الفترة و غيرهم، فساهمت هذه الشخصيات في التحول تدريجيا إلى اتجاه عبادة المحبة و الفناء و التعلق بعدما كان رهبة و خشية ، أما ما يتعلق بالسماع فلا يعرف تاريخ دخوله ضمن ممارسات الصوفية على وجه التحديد، وقدر بين القرن الثاني والثالث الهجري، وقيل أن أول من سلكه و نشره كان **ذو النون المصري**[2].

2 .1 .1 ذو النون المصري ونشأة السماع:

جاء ذكره في الطبقة الأولى من طبقات الصوفية للسلمي، وأنه أسند الحديث [3]، "له في أسرار التوحيد نظر دقيق...، ورياضات عجيبة، وكرامات غريبة، لكن الناس كانوا متحيرين في شأنه، وبعض الجهال من مصر ينسبون إليه الزندقة ...، وكان يخفي أحواله من الناس"[4]،فكان من الملامة أو الملامتية ، وقيل أنه اشتغل بالكيمياء، حيث يذكر ابن النديم أنه ألّف كتاب" الثقة في الصنعة"[5]، الصنعة"[5]، و من عجائبه ما ذكره العطار في تذكرة الأولياء أنه ذهب مع جماعة، فوصلوا خربة، فدخلوها فوجدوا فيها بئرا مملؤة من الذهب و الجواهر النفيسة، وفوقها لوح مكتوب عليه كلمة " الله" فهرع رفاقه إلى الذهب أما هو فآثر اللوح يقبله و يكرمه، فرأى ليلتها رؤيا سمع هاتفا يقول: " يا ذا النون، اشتغل كل أصحابك بالذهب و الجواهر ورغب فيهما، و أنت اكتفيت باسمي المكتوب على ذلك اللوح، لا جرم فتحنا عليك أبواب علم الحقائق و كشف الدقائق."[6] وهذا تصريح بحصول علم لدني له بالكشف ويعد هذا غاية التصوف حيث قال فيه الجامي [7] "إنه هو رأس هذه الفرقة أي الصوفية، فالكل قد أخذ عنه و انتسب إليه، ولقد كان المشايخ قبله و لكنه أول من فسر إشارات الصوفية و طور منازل التصوف أو المقامات و تكلم في هذا الطريق فقال :" العطايا مواهب و الطاعات مكاسب، والناس رجلان: دارج وواصل، فالدارج سائر على طريق الإيمان ، والواصل طائر بقوة المعرفة ولكل دليل ..."[8] ، و عنده أن هدف الصوفي الاتصال بالله ، و أنه ليس وراء مشاهدة وجه الله، من رحمة لأرباب النعمة، إلا سماع أصوات الأرواح الملائكية"[9].

---

[1] محمد تقي المدرسي، العرفان الإسلامي بين نظريات البشر و بصائر الوحي، دار البيان العربي ، بيروت- لبنان- ،ط3، 1996م، ص 196.

[2]هو ثوبان بن إبراهيم،كنيته "أبو الفيض" ولقبه "ذو النون"، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري ولد في مصر سنة 179 هـ الموافق 796 م وتوفي سنة 245هـ الموافق 859 م .

[3] ، أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، كتاب الشعب ،ط2، 1998م،ص 12،

[4] فريد العطار ،تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي ،تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي –دمشق- سوريا ،ط1 ،2009م ،ص 161.

[5] ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة-بيروت-لبنان- ،د.ط ،ص 504.

[6] تذكرة الأولياء، العطار، مرجع سابق ،ص 163.

[7] نورالدين عبد الرحمن بن أحمد جامي الخراساني817. 898 هـ.

[8] عبد الحليم محمود، العالم العابد الزاهد ذو النون المصري ، دار الرشاد –القاهرة –، ط2، 2003م، ص 62.

[9] العرفان الإسلامي بين نظريات البشر و بصائر الوحي، مرجع سابق، ص 168.

يلاحظ أن ذا النون قال بحصول المعرفة اللدنية والتي هي فتح من الله تعالى على أوليائه المستترين كما كان حاله وموضوع الولاية جوهري في مباحث التصوف، غير أنه قال أيضا بإمكانية الوصول إلى هذه الولاية وحصول هذه الكرامات و الكشوفات و تلقي الفيض الرباني بسلوك طريق التصوف، و يسمى المتصوفة ب **أرباب الأحوال** أيضا مما كانت ارهاصاته الأولى عند الزهاد ، وكانت تلك من الأحوال الشخصية التي تكون بين العبد و ربه إلا أنه خرج بتلك الأحوال إلى العلن بسبب عنصرين أساسيين هو **الوجد** الذي يكون في السماع ،وظهور **الكرامات**، **وسئل ذو النون عن السماع** فقال:" **رسول حق جائر يزعج إلى حق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق** "، كما سئل عن **الصوت الحسن** فقال:" هو مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة " [1] و أيضا "بحُسن الصوت تستمال أَعنّة الأبصار" [2] ويقول نيكلسون: (أنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وعرف التوحيد بالمعنى الصوفي، ففيما ذكرناه–فيما أعتقد–يكفي للدلالة على أن ذا النون لا أبا يزيد البسطامي كان له الأثر في تشكيل الفكرة الصوفية)[3].

2. 1 .2 . تحليل السماع في أقوال ذي النون:

تكلم عن ماهية السماع فوصفه بأنه رسول حق جائر، يزعج إلى حق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق"، و ذكر الهجويري في تفسيره لقوله " و ليس المراد من هذا أنه يجب أن يكون السماع علة لوصل الحق، انما المراد أن المستمع بحق يسمع المعنى لا الصوت، و يكون قلبه محل وارد الحق، فعندما يصل هذا المعنى إلى القلب فإنه يزعج القلب، فمن يكون متابعا للنفس يكن محجوبا و يتعلق بالتأويل، و عندئذ تكون ثمرة ذلك السماع: الستر، و أما كلمة الزندقة فهي فارسية معربة و تؤول بلغة العجم ب" زند"، و لهذا السبب فانهم يسمون كتابهم الـ" بازند" ، و لما أراد أهل اللغة أن يسموا أبناء المجوس الذين مع "بابك" و"افشين" سموهم الزنادقة، لأنهم كانوا يقولون ان لكل شيء يقوله المسلمون تأويلا يناقض ظاهر حكمه، و التنزيل هو الدخول في الديانة، و التأويل هو الانسلاخ عنها، و الآن يقول بقيتهم– و هم شيعة أهل مصر– عين هذا، فكان مراد ذي النون أن أهل التحقيق يصيرون محققين في السماع، و أهل الهوى يكونون مؤولين لأنهم يؤولونه تأويلا بعيدا، و يقعون بذلك في الفسق" [4] ، وإجمالا فالسماع عنده هو رسالات و مخاطبات إلهية تقع في قلب السامع تقوده نحو حق أي الله فمن كان في قلبه صدق وصل وغير الصادق تزيده في ضلالته، فنخرج بفائدتين من كلامه: أن السماع في ماهيته هو إشارات و مخاطبات من الله تكون في الأصوات الجميلة لا ينتفع بها غير من كان الصدق مقامه ،فالسماع أيضا هو محك لما في القلوب ، ويروى أنه "لما دخل ذو النون بغداد دخل عليه صوفية بغداد ومعهم قوال، فقالوا: أتأذن له حتى يقول؟ قال: نعم، فقال القوال:

---

[1] الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري ،ابن عربي ،تحقيق و تقديم سعيد عبد الفتاح ،المجلد الثالث ،بيروت –لبنان–ط1، 2002م، ص 137.

[2] المرجع نفسه ،ص 139.

[3] رينولد نيكلسون ، في التصوف الإسلامي و تاريخه،ترجمة أبو العلا عفيفي ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة–مصر–،د.ط، 1947م، ص 8.

[4] أبو الحسن على بن عثمان أبي علي الجلابي الغزنوي الهجويري، كشف المحجوب، ،ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ، ج2،المجلس ألأعلى للثقافة –القاهرة– د.ط،،ص 252.

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من روحي ... هواء قد كان مشتركا

قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه و الدم يقطر من جبينه و لا يسقط على الأرض، ثم قام رجل آخر من القوم يتواجد ، فقال له ذو النون: ٱلَّذِي يَرَٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ [سورة الشعراء،٢١٨]... فجلس الرجل "[1]، هذه الرواية تُظهر كيف كشف السماع لذي النون عدم صدق تواجد الرجل فحذره، فجلس ، فالسماع لا يصح ممن لم يجاهد نفسه فغلبها ، يقول عطاء بن أبي رباح[2](ت114هـ):" من سمع فظهرت عليه صفات نفسية، وذكرته حظوظ دنياه، فالسماع عليه حرام، ومن سمع فظهر له به ذكر ربه وتذكر به أجل ما شوق الله اليه، وأعده لأوليائه فهو له ذكر من الأذكار."[3]

وعليه فإن السماع الصوفي بدأت ممارسته مع ظهور التصوف ذاته لذلك عد من قواعده التأسيسية الأمر

الذي يفسر استماتتهم في الدفاع عنه والتشبث به رغم تشنيع الفقهاء عليهم فذهبوا إلى أن السماع يثير مشاعرهم في الإقبال على الله–تعالى–والحب له، وهو من **الذكر** الذي بنيت عليه كل المجاهدات في الصوفية واستعملوا السماع بغرض الوصول إلى **الوجد** وهو شعور قوي ينتاب السامع يشعر معه أن قلبه معلق بالله وحده، وأنه على اتصال به " فيغيب الواصل عن عالمه و دنياه، بل عن نفسه بلحظات سكر قد تطول و تمتد، وبعد السكر يترقّى الواصل الذي شاهد بقلبه و عاين و عرف، وارتفع إلى وجود تلاشت فيه أبعاد المكان و الزمان ليعيش لحظات الفناء الحقيقي "[4]، فتتحرك جوارحه، فتصدر عنه شهقة أو صعقة، والبكاء وقد ذكرت العديد من الأخبار عن أحوال الزهاد عند سماع القرآن.

والسماع عند أوائل الصوفية كان سماعا مجردا اقتصر على سماع القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، و الأشعار الدينية ، واعتبر من **الذكر** أساس كل الرياضات الصوفية، وتكلموا عن حكمه وأنواعه الثلاث: **سماع العوام** وحكمه **التحريم** لما فيه من ظهور شهوات النفس وغلبتها، **وسماع الزهاد** وحكمه **الاباحة**، **وسماع الخواص** وهو **مستحب** لهم.

أما في القرن الثالث الهجري فقد شهد حركة تدوين العلوم إبان العصر العباسي بسبب امتداد العالم الإسلامي ودخول طوائف كثيرة فيه وحركة الترجمة لعلوم اليونان وغيرها، فظهر الصراع بين الفقهاء والصوفية الذين يرون أن الفقهاء جعلوا الدين مجرد رسوم وأحكام لا روح له، وقالوا بالمعاني الباطنية للقرآن، فقسموا الشريعة إلى ظاهر وباطن اختصوا به وأولوا القرآن حسب منهجهم الخاص، وظهر ما سمي **بالشطحات الصوفية** التي كانت بوادرها عند أبو يزيد البسطامي [5](ت 261هـ) مؤسس مدرسة الشطح الصوفي، التي كان الحلاج (ت 309هـ) من تلاميذها وكانت هذه الشطحات سبب العداء لمذهبهم ووقع للصوفية سلسلة

---

[1] زين الدين أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، ، دار جوامع الكلم – القاهرة – مصر ، د.ط، ص 513.

[2] أبو محمد بن عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان (27-114هـ) فقيه و عالم حديث تابعي .

[3] الرسالة،مرجع سابق، ص 29.

[4] سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود ، نظرية الإتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام،دار المنارة –جدة– السعودية ،ط 1، 1991م، ص 161

[5] **أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي(188هـ-261هـ)** .

اضطهادات أشهرها محنتهم ببغداد التي اتهم فيها نحو سبعين منهم بالزندقة من بينهم الجنيد وقد بلغ الاضطهاد ذروته في الحلاج[1] الذي أعدمته السلطة الزمنية وقتها بسبب مقولاته و منها " من فرّق بين الكفر و الإيمان فقد كفر و من لم يفرق بين الكافر والمؤمن فقد كفر"[2] ونتيجة لكل هذا تشبث كبار الصوفية أكثر بمنهجهم وألفوا في الدفاع عن مذهبهم وتقديم الأدلة على شرعية أعمالهم ومعتقداتهم وهذا ما سيطبع الفترات اللاحقة في التصوف الإسلامي.

2.2 مرحلة التوفيق بين التصوف وخصومه: القرن الرابع – الخامس الهجري

خلال هذه المرحلة كان بعض شيوخ التصوف كالجنيد [3](ت298هـ) والسرى السقطي [4](ت 251هـ) والخراز[5](ت 277هـ) وغيرهم، يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم، فظهرت لأول مرة الطرق الصوفية التي أنشأت مراكز لتعليم آداب التصوف علما وعملا لمن أراد تعلمه، وانبرى الفقهاء لمواجهة هذا التوجه و ذم التصوف وأهله ،فظهر ما سمي **التصوف السني** بسبب جهد أئمة الصوفية في التوفيق بين التصوف و تعاليم الإسلام من جهة أو أيضا بسبب تسرب العقائد الشيعية لصفوف المتصوفة واجتهاد شيوخهم في كشف ذلك، فنبذوا من غالى في تصوفه أو نسب نفسه إليهم و أفسد عليهم ،وما ميز هذه المرحلة من تاريخ السماع الصوفي **اختلاف الصوفية** فيه " هذا الاختلاف الظاهري في أقوالهم يكشف الغطاء عن اتفاقهم في حقيقة السماع، فمنهم من أنكر السماع، و منهم من أجازه مع عدم الاشتغال به" [6] .

2. 2. 1. السماع في أمهات كتب التصوف في القرن الرابع الهجري:

المشترك بين باكورة المؤلفات الصوفية حول السماع هو الدفاع عن جوازه و شرعيته و ضبط آدابه و قواعده وشروطه و أنواعه فجاء ذكره فيها مثل "اللمع" لأبي نصر السراج الطوسي(ت378هـ)، و"التعرف لمذهب أهل التصوف" للكلاباذي (ت380هـ)، و"قوت القلوب" لأبي طالب المكي (ت386هـ)، ففي **اللمع** فصل اسمه "كتاب السماع " مقسم بدوره إلى عدة أبواب في مسائل السماع بدءا ببيان أن الصوت الحسن لطائف و إشارات ربانية لأن " الصوت الحسن رَوْحة من الله تعالى ،لقلب فيه حب الله تعالى " وعند آخر أن النغمة الطيبة يروح بها قلوبا محترقة بنار الله " [7]، كما استدل بأن الأوائل كانوا يعالجون العلة السوداء وهو ما يعرف اليوم بالاكتئاب ، بالصوت الطيب و النغمة الجميلة أي الموسيقى، ويظهر تأثير الصوت الجميل جليا في **الحداء**

---

[1] **أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج (244–309هـ)** من رواد التصوف وشاعر عراقي عباسي، قتل مصلوبا في خراسان إبان عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله، فيما عرف بمأساة الحلاج بسبب أقواله في الحلول.

[2] قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة ، مكتبة الإسكندرية – مصر–،ط1، 2002م،ص243.

[3] **الجنيد البغدادي (215 –298 هـ)** من سادات الصوفية وعلم من أعلامهم.

[4] **أبو الحسن السَرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ السَّقَطِي (160–251هـ) من بغداد، أول** من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال،وكان تلميذ معروف الكرخي

.

[5] **أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز(؟– 277هـ)** من أعلام التصوف السني من بغداد .

[6] السماع عند صوفية الإسلام ، فاطمة فؤاد ،مرجع سابق، ص 36.

[7] أبي نصر سراج الطوسي، اللمع ، دار الكتب الحديثة –مصر– ، د.ط، 1960م،ص 339.

وهو الغناء للإبل أثناء سفر القوافل لتخفيف مشقة الرحلة ويذكر قصة عن غلام لأحد التجار تسبب في موت إبله بسبب عذوبة صوته مما جعلها تقطع مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد، ثم يعود إلى القرآن الكريم في قوله تعالى:" أَفَلَا ينظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"(الغاشية: 17) في إشارة إلى حثّ الله تعالى عباده على التدبر في خلقه و استلهام اشارته و لطائفه، وساق الأدلة من القرآن و السنة و القياس ، أما السماع في "التعرف" كان هو الباب الأخير من مواضيعه لم يطل فيه مثل الطوسي وعرف السماع بأنه: " استجمام من تعب الوقت، و تنفس لأرباب الأحوال، و استحضار الأسرار لذوي الأشغال " .فنجد أنه في هذه الفترة أسند دورا جديد للسماع بصفة عامة وهو التخفيف عن الصوفي **من تعب الوقت** ، و المقصود بالوقت هنا ما يكون من المجاهدات من تقليل الطعام و الصلاة ..و الذكر و كلها كانت تدخل ضمن مسمى **الورد** وهو" اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه في قربة إلى الله ويورد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة، و القربة اسم لأحد معنيين : أمر فرض عليه أو فضل ندب إليه ،فإذا فعل ذلك في وقت من ليل أو نهار و داوم عليه فهو ورد"[1] ، فالسماع اعتبر من الأوراد التي يرجى فيها حصول نعمة ما من ثواب أو رحمة أو كشف و بالتالي أنيط به وظيفة تعبدية نجد أصلها في قول الجنيد :" الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، و عند الكلام فإنه لا يتكلم إلا للضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد "[2].

و **قيل في سبب اختيار ترويح تعب المجاهدة بالسماع** أنه: " إنما اختير على غيره مما تستروح إليه الطِّباع..." و" أرباب الكشوف و المشاهدات استغنوا عنه بالأسباب الحاملة لهم تنزه أسرارهم في ميادين الكشوف " [3].

و فضل السماع على وسائل أخرى نجد ذكرها في اللمع: " سمعت أبا علي الروذبادي،... يقول: إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، كان يقول: ثلاث إذا وجدن مُتِعَ بهن، وقد فقدناهن أجمع: حسن الصوت مع الديانة، و حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الإخاء مع الوفاء"[4]، لكن المتتبع لمسار السماع في التصوف يجد أن كل العناصر المذكورة قد جعلت فيه. فالجنيد في القرن الثالث الهجري ، أسس طرقا لتربية المريدين اللذين دعاهم الإخوان و جعل اجتماعهم في السماع من شروطه ، أما حسن الوجه فهذه كانت في مشاهدة المردان [5] في السماع و قد ذكر في" قوت القلوب " دليل على وقوع تلك الممارسة في القرن الرابع و ما بعده فابن الجوزي(ت 597هـ) يقول " أخبرنا أبو القاسم الحريري أنبأنا أبو الطيب الطبري قال: بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد و ربما زينته بالحلي و المصبغات من الثياب و الحواشي و تزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر و الاعتبار و الاستدلال بالصنعة على الصانع ..."[6].

---

[1] أبي طالب المكي ،قوت القلوب ، مراجعة سعيد نسيب كارم ،دار دادر ، د.ط، ص 127.

[2] أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة –مصر- ،ط2 ،1994م،ص 331.

[3] المرجع نفسه،ص 330.

[4] اللمع، مرجع سابق ، ص 340.

[5] **المردان** جمع أمرد و هو الصبي أو الرجل الذي لا لحية له و قد يشبه النساء

[6] ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ،دار الفكر،بيروت-لبنان-،ط2001م، ص 237.

أما كتاب "قوت القلوب" لم يفرد للسماع باب مخصص و جاء ذكره تحت عنوان "كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت "حيث قال :"...فأما ما أشكل لتجاذب الأمثال ولم يتبين لك إلى أي مثل ترده فالورع أن تقف و لا تمضي حتي ينكشف، و أما ما اشتبه لقصور العلم بالاستدلال فالعلم فيه أن تعرف الأصلين من الحرام و الحلال ثم ترده إلى أشبههما به و هذا ظاهر مثل ما أحلت طائفة النظر إلى الغلام الجميل لأنه **ذِكْر** فتحتاج إلى أن ترده لأحد الأصلين لأنه مشتبه ...فكان هذا الأصل أشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع إلى القصائد أي إنشاد الشعر المباح فكان الاستماع إلى القرآن حلالا و الاستماع إلى الغناء حراما وكانت القصائد بالغناء أشبهه فكرهناه لغير أهله "[1] فهو يجيز السماع المجرد بدون النغمات أي العزف و الغناء ، والسماع عنده مكروه لمن لم يكن من المحققين.

2. 2. 2. السماع الصوفي في القرن الخامس الهجري:

في القرن الخامس الهجري انتشر التصوف في كامل العالم الإسلامي، وقد عدد الهجويري[2](ت 465هـ) الفرق الصوفية في تلك الفترة باثنتا عشرة فرقة نسب كل واحدة منها إلى شيخ من شيوخ الصوفية آنذاك[3]، وجاء دفاعهم عن السماع من القرآن الكريم والسنة الشريفة و القياس، مماثلا لما كان في القرن الرابع الهجري بمزيد من التفصيل و من أعلامه السلمي، و الهجويري و القشيري[4] اللذين ألفوا كتبا قيمة في التصوف تضمنت أبوابا مستفيضة حول السماع الصوفي و أحوال المتصوفة فيه و أقوالهم ،غير أنه في هذه الفترة أيضا اشتد دخول أدعياء التصوف في الطائفة لأغراض كثيرة أهمها طلبا للمكانة، أو للترويج للعقائد الشيعية و الإسماعيلية الباطنية ، فأشاعوا البدع و الخرافات، وقالوا بإسقاط التكاليف الشرعية، مما أساء للتصوف كثيرا فتصدى المحققين منهم بالرد والتأليف في بيان سير الأولين وآدابهم وخاصة **القشيري، والهجويري**، وكللت جهودهم بانضمام "**أبي حامد الغزالي**" [5] إلى طريقتهم ومنهجهم، وقد بدل جهده لإدخال التصوف في صلب الإسلام السني، فكان مؤلفه "إحياء علوم الدين" مصدرا للتصوف السني دون منازع.

كما تميز القرن الخامس الهجري بسمات أخرى أثرت في تطور السماع الصوفي أهمها:

ظهور **الاصطلاح الصوفي** ، غلبة التصوف على الشعر الفارسي، وأضيف اليه المعازف والألحان أي الغناء بالآلات الموسيقية؛ انتشار المؤسسات الصوفية من مباني خاصة، ووضع نظام لها وهيكلتها.

---

[1] قوت القلوب ، مرجع سابق ،ص 123.

[2] أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي (400هـ-465هـ) عالم ومتصوف فارسي، صاحب كتاب كشف المحجوب الذي يعد من المصادر الأساسية في التصوف

[3] كشف المحجوب، الهجويري، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ، ج2،المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة- د.ط، ص 403.

[4] **عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري** (376-465هـ) فارسي الأصل وإمام الصوفية.

[5] **أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري** (450. 505 هـ)فارسي،من أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام

2. 2. 3. السماع في مؤلفات القرن الخامس الهجري:

تشترك كل المؤلفات الصوفية في الدفاع عن السماع من الكتاب والسنة و القياس، فجاءت أدلتهم على شرعيته كثيرة لن نتطرق إليها، فليس الغرض بيان حكمه بقدر ما هو تتبع مسار تطوره التاريخي واستنتاج أهميته عند الصوفية [1].

هذا وقد خصصت مباحث واسعة للسماع وحده في كتب أعلام الصوفية، تناولوه فيها بالتعريف و الشرح وبيان حكمه و مكانته الكبيرة في السلوك الصوفي نحو الله تعالى، ومنهم من أفرد له مؤلفا لوحده كما فعل أبي عبد الرحمان السلمي [2](ت 412هـ) في مؤلفه "كتاب السماع" .

ذكر القشيري في رسالته [3] ما قاله أعلام صوفية عصره وما قبله و جعل للسماع بابا في رسالته و قدمه مجملا دون تبويب و فرز لخصائصه، بدأ بالتدليل على جوازه، ثم ذكر أقوال الصوفية فيه و سنذكر أقوال الجنيد و نحللها باعتباره أول من وضع تعريفات للسماع ومن أسس للطرقية الصوفية :

- **تعريفات الجنيد للسماع :**

"... سمعت الجنيد يقول: وقد سئل: ما بال الإنسان يكون هادئا، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذَّر[4] في الميثاق الأول بقوله:" أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُواْ بَلَىٰ ١٧٢" [سورة الأعراف،١٧٢] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك. وهذا أصل وجودي لتأثير الصوت الجميل والألحان والكلام في الإنسان ذاك أنه كان معه لحظة وجوده الأولى وانطبع في فطرته التي فطر عليها فهو مما لا يستغنى عليه في تزكية النفس والعودة بها إلى طبيعتها الأولى.

" تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقولون إلا عن وَجْد، وعند أكل الطعام؛ فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة العلم؛ فإنهم لا يذكرون إلا صفات الأولياء ". وفي كلامه هذا جعل الجنيد السماع من موجبات تنزل الرحمات على الصوفي وأطلق اسم الفقراء عليهم و الذي بقي في لفظ الدراويش.

"السماع فتنة لمن طلبه، ترويح لمن صادفه" وهذا القول يثير الحيرة بكيفية السماع الذي يتكلم عليه الجنيد فالظاهر أن عقد مجالس للسماع يقتضي القصدية أي وقوع الطلب وكيف يصادف الصوفي السماع؟ و نرجح أنه يقصد حصول السماع الحق فحتى وأن تقصد السماع فليس بالضرورة سيكون له تحققه.

" السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان والمكان؛ والإخوان " فتحول السماع مع الجنيد كما تحول التصوف نفسه فبعد أن كان سلوكا فرديا، أصبح مسلكا جماعيا.

---

[1] وللاطلاع على هذه الحجج يفضل الرجوع لكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي،ص 739-757.

[2] **بو عبد الرحمن السلمي(325–412هـ)** هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سا لم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي، السلمي الأم، أبو عبد الرحمن النيسابوري، صاحب كتاب طبقات الصوفية .

[3] الرسالة القشيرية، باب التصوف ص 442.

4 الذّر هي الأرواح

- أما ما جاء عن السماع **للهجويري** فهو خير مثال يعطينا فكرة مرتبة ومصنفة فهو لم يطرحه تحت عنوان واحد كما عند القشيري و إنما فصله تفصيلا و زاد عليه دقائق أخرى كانت في كتب السابقين ، فتكلم في **أنواعه بحسب المسموع** أي **السماع المجرد** بدون آلات أو ألحان و هو سماع القرآن ، و سماع الشعر ثم **السماع الإيقاعي** وهو سماع الأصوات و الألحان ، ثم فصل في **أقوال المشايخ فيه** و **أختلافهم عليه** ، ثم **مراتب الشيوخ في السماع و أحوالهم فيه وآرائهم** ، وأدمج باب **الوجد والجود و التواجد ومراتبه** ضمن مبحث السماع وهذا جديد عنده فقد كان باب الوجد في مؤلفات من سبقوه مفردا وأضاف أيضا باب **الرقص** و النظر في الأحداث أي في قضية المردان و أضاف باب **الخرق** و اختتم مؤلفه **بآداب السماع** ، **و** من خلال دراسة مباحثه في السماع نجد أن الهجويري استهل كلامه على السماع بمعنى السمع و أكد على حصول المعرفة من الحواس الخمسة ، وأن جميع أحكام الشريعة مبنية على السمع ، و قرر أن كل من ينكر السماع قد أنكر كل الشريعة [1] ، وهذا كلام مهم يضع السماع في قاعدة الشريعة و بالتالي في التصوف ، ثم يقر أن أولى المسموعات هو بلا منازع القرآن الكريم و أن الكل مأمورون بسماعه سواء فيه المؤمن و الكافر و دلل على عدم نفور الطبع من سماع القرآن و انه استمع اليه كفار قريش و الجن ، ثم ساق روايات كثيرة عن تواجد المستمعين للقرآن الكريم من الصحابة و غيرهم و من الجن كذلك، و هذه سابقة للهجويري ، كما أن الله تعالى أثنى على هذه المواجيد في العديد من الأيات القرأنية إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ [سورة الأنفال،٢]، و ساق دليل آخر مهم و تفصيلي في السماع، أنه " روي عن رسول الله (ص) أنه قال لابن مسعود: اقرأ، فقال: أنا أقرأ عليك و أنت أنزل؟ قال (ص) أنا أحب أن أسمع من غيري "[2] و هنا أكد أن الاستماع أكمل حالا من القراءة لأن القراءة تكون عن حال و غير الحال أما الاستماع فهو بحال مطلقا، أما عن سماع الشعر فابتدأ القول باحته جملة لسماع النبي (ص) الشعر و ذكر سلسلة أحاديث و قيد الاباحة بحسن المقال فما كان في معصية فحرام ، وهكذا فعل في الاستدلال على جواز سماع الأصوات و الألحان و أكد على طبيعة الصوت الحسن الشفائية و ملائمته للروح البشرية من حيث كونهما من اللطائف.

عرف الهجويري الوجد بأنه اثبات حالين يظهران في السماع هما الحزن ووجد المراد وقال أنه لا يمكن تعبيره فهو ألم المغايبة خاص بالذوق و الانفعالات الشعورية و سر بين الطالب و المطلوب و التواجد هو التكلف في طلب الوجد.

أبطل الهجويري الرقص في السماع ، و قال أنه لما شابهت حركات الوجد و معاملاتهم الرقص، قلدهم في ذلك جماعة من أهل الهزل، وغالو فيه حتى صار مذهبا ، وذكر أن في وقته من العوام من أصبح يظن أن مذهب التصوف ليس سوى هذا الرقص ، وهذا ما وقع في عصر الانحطاط للتصوف ،و حرم النظر في الأحداث و المردان و اعتبره جهالة و باطل ، أما في قضية خرق الثياب أي تمزيقها و هو معتاد في هذه الطائفة منكر . كما أطال في الكلام حول رمي الخرقة في السماع التي تكون عن وجد.

---

[1] الهجويري ، ص 239. بتصرف

[2] المرجع نفسه، ص 643.

- **السماع الصوفي عند أبي حامد الغزالي (450-505هـ)[1]:**

يعتبر الغزالي أكبر وأهم مدافع عن التصوف السني القائم على عقيدة أهل السنة والجماعة، فساهم في تمكينه ونفاده بانتهاجه نهجه والتأليف فيه، وقد قال:" ثم إني لما فرغتُ من هذه العلوم ...أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل ...وكان حاصل علمهم قطعَ عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة و صفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله، و تحليته بذكر الله " [2]، و قد طالع " قوت القلوب "، وقرأ للمحاسبي و البسطامي و غيرهم ، وضمن كتابه **إحياء علوم الدين** الذي كتبه أثناء محنته النفسية و اعتزاله الناس آراءه الصوفية ، و خصص للسماع باب عنونه "كتاب آداب السماع والوجد " و نلاحظ أنه قرن السماع و الوجد كما عند الهجويري و استهل كلامه ببيان أن السماع لا يحرك إلا ما كان مطبوعا في القلب أي أنه لا يحدث بذاته شيء لذلك عده **محكا للقلب و معيارا ناطقا** ،و بضرورة توضيح ما في السماع والوجد من الفائدة و الآفات ، فتكلم كسابقيه في إباحته و الدفاع عنه وقرر أن :"**السماع أول الأمر، و يثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، و يثمر الوجد تحريك الأطراف ،إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، و إما موزونة فتسمى التصفيق و الرقص** " [3]ثم عرض مقولات العلماء فيه خصوصا أئمة المذاهب الفقهية من قال بتحريمه أو كراهته أو إباحته ثم فصل في دلائل إباحته وقد فصل في درجاته على نحو ما ذكرنا عند الهجويري، و عنده ذكر للحزن المحمود عند الانسان على تقصيره في دينه و بكائه على خطاياه، و البكاء و التباكي و الحزن و التحازن ..وتحريك الحزن و تقويته محمود،...وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب، و لا أن يبكي و يتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره و إثارة حزنه، و بين أن من عرف الله أحبه و من تأكدت محبته سميت محبته عشقا فأجاز هذه الكلمة أيضا و بالتالي مكّن للرموز العشق و الهوى و السكر ، وجعل تحريم السماع لعارض لأركانه الثلاثة و هي **المسمع** و **المستمع** و**آلة الاسماع** و حرم سماع غناء المرأة و الصبي لخوف الفتنة ، أما في الآلة فحرم ما شابه آلات أهل الشرب و المخنثين من المزامير و الأوتاد، و طبل الكوبة ، و أباح الدف و غيره، وأباح التشبيب في القول أي أشعار القدود والخدود على أن لا تنزل على امرأة، و أخيرا العارض فيمن يستمع كأن يغلب على طبعه الشهوة ، أو أن يكون من العوام و لم يهذب نفسه بالطاعات فهو محظور عليه إلا أذا كان ترويحا و لم يجعله عادة فيصير سفيها[4] .

3. خاتمة:

تمكنا بعد التنقيب في كتب التصوف الإسلامي عما ورد فيها حول السماع ، وخوض معترك اللغة الرمزية و المعارف الذوقية ، من كشف ملامح السماع الأولى و رصد تطوره ضمن التصوف الإسلامي، فكان ظهور السماع الصوفي تزامنا و ظهور التصوف، ويعتبر ذو النون المصري المؤسّس الأول للتصوف خلال القرن الثاني الهجري بتطويره طريق التصوف من طريقة زهاد القرن الأول في

[1] هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بأبي حامد لولد مات له ، من أشهر أعلام عصره ،كان والده غزالا للصوف فكني بمهنة والده، ولد في خراسان وتتلمذ على يد الجويني رحل الى بغداد ، وبرع في علوم شتى و انبرى للدفاع عن الإسلام فلقب بحجة الإسلام لغزارة علمه

[2] أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال، المنقذ من الضلال و المفصح بالأحوال،دار المنهاج ،بيروت –لبنان-،ط1، 2015م،ص 98.

[3] أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ،دار ابن حزم، لبنان –بيروت-، ط1، 2005م، ص 738.

[4] المرجع نفسه ، ص 760-771. بتصرف

تربية النفس وتصفيتها للاتحاد بالحقيقة ،كما انه اول من سلك ووضع تعريفا للسماع ،فهو رسائل و إشارات الهية ، تثمر حالات شعورية قوية تسمى الوجد لا يفقهها غير الواصل بعد الرياضات و المجاهدات و أهم الرياضات الذكر و قد يكون السماع ذكرا منها ، و إلا فهو محك لصدق حال السامع ،ومُكِنَ للسماع و التصوف في فترة التصوف السني حيث دلل عليهما بالأدلة الشرعية ،وبسبب الجنيد تحول التصوف إلى الطرقية ، فمهد لتحول السماع إلى الطقوس الصوفية لشرط الاجتماع له وبناء المؤسسات الطرقية لشرط المكان ،وتحديد أوقات له، ومركزية الشيخ ،و كان تمسك الصوفية به رغم تعرضهم للهجوم بسببه أنهم جعلوه وسيلة اتصالهم بالمطلق و الاتحاد به و شهوده و السماع منه.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت –لبنان-، د.ط.
2. فهد سالم خليل الراشد ، عن مقال " السماع في كتاب سيبويه – نظرة احصائية – "في مجلة الآداب و اللغات – العدد 16- أوكتوبر 2010م ، الكويت.
3. فاطمة فؤاد عبد الحميد اسماعيل ، السماع عند الصوفية ، رسالة دكتوراه في الفلسفة ،جامعة الزقازيق كلية الآداب ذقسم الفلسفة – القاهرة – ، نوقشت سنة 1996م.
4. – أبو الوفاء الغنيمي التافتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة – القاهرة- مصر ، ط3 ، 1979م.
5. ولي الدين عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي ،دمشق- ، ط1 ،2004م، ج 2 .
6. عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية و مدارسها ،مكتبة مدبولي – القاهرة – ط2 ،1999م.
7. آن ماري شيمل ، مستشرقة ألمانية ، الحياةالروحية في الإسلام ، دار نينوى- دمشق – سوريا ،ط1 ،2015م.
8. فريد العطار، تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للشاملة، طهران- إيران- د.ط، 2012م.
9. محمد جلال شرف ،دراسات في التصوف الإسلامي – شخصيات و مذاهب-، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر ،د.ط، 1991م.
10. ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني –بيروت-، ط1، 1984م.
11. رابعة العدوية إمامة العاشقين و المحزونين، عبد المنعم الحفني ،دار الرشاد –القاهرة- ،ط 2، 1996م.
12. عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة االفلسفة الصوفية و تطورها، دار الجبل –بيروت-،ط1، 1993م.
13. محمد تقي المدرسي، العرفان الإسلامي بين نظريات البشر و بصائر الوحي، دار البيان العربي ، بيروت- لبنان- ،ط3، 1996م.
14. أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية ،تحقيق أحمد الشرباصي، كتاب الشعب ،ط2، 1998م.
15. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة-بيروت-لبنان- ،د.ط .
16. عبد الحليم محمود، العالم العابد الزاهد ذو النون المصري ، دار الرشاد –القاهرة –، ط2، 2003م.
17. الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري ،ابن عربي ،تحقيق و تقديم سعيد عبد الفتاح ،المجلد الثالث ،بيروت –لبنان-ط1، 2002م.
18. رينولد نيكلسون ، في التصوف الإسلامي و تاريخه،ترجمة أبو العلا عفيفي ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، د.ط، 1947م.

19. أبو الحسن على بن عثمان أبي علي الجلابي الغزنوي الهجويري، كشف المحجوب، ،ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ، ج2،المجلس ألأعلى للثقافة –القاهرة- د.ط.

20. حديث ذي النون المصري، ذُوْ النُّوْنِ المِصْرِيُّ ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية،ط1، 2004م (http://islamport.com/k/mkh/1907/5.htm)،بتاريخ 18-09-2020م.

21. زين الدين أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، ، دار جوامع الكلم – القاهرة – مصر.

22. سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود ، نظرية الإتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام،دار المنارة –جدة- السعودية ،ط 1، 1991م.

23. قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة ، مكتبة الإسكندرية – مصر-،ط1، 2002م.

24. أبي نصر سراج الطوسي، اللمع ، دار الكتب الحديثة –مصر- ، د.ط، 1960م.

25. أبي طالب المكي ،قوت القلوب ، مراجعة سعيد نسيب كارم ،دار دادر ، د.ط.

26. أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة –مصر- ،ط2 ،1994م.

27. ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ،دار الفكر،بيروت–لبنان-،ط2001م.

28. أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال، المنقذ من الضلال و المفصح بالأحوال،دار المنهاج ،بيروت –لبنان-،ط1، 2015م.

29. أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ،دار ابن حزم، لبنان –بيروت-، ط1، 2005م.